الغيبة الثانية للإمام الثاني عشر

م.م. عباس جاسب رشك

كلية القانون / جامعة ميسان

Apass935@gmail.com

الملخص:

إنَّ الإمام (محمد بن الحسن العسكري) هو الإمام الثاني عشر عند المذهب الشيعي وقد تسلم زمام الإمامة بعد ابيه الإمام العسكري وقد كان مخفي الولادة إلا المقربين منه وقد ثبتت إمامته آنذاك.

وقد كانت للإمام الثاني عشر غيبتان الأولى والت تسمى بالصغرى لِصغر فترتها وقد بدأت هذه الغيبة بعد صلاته على أبيه وانتهت بتبليغ السفير الرابع (علي بن محمد السمري) ببداية الغيبة التامة الثانية والتي تسمى بالكبرى وقد بدأت بوفاة السفير الرابع حيث لم يكن في هذه الغيبة أي احد يمثل الإمام الثاني عشر ولم تكن له سفاره خاصه ويقصد بالسفارة من ينوب عنه في قضاء حوائج الناس ويوصل الاحكام وجميع المتعلقات الضرورية وفي هذه الغيبة بدأت أيضا النيابة العامة وما نسميها بالمرجعية وهي نتاج وثمار الغيبة الصغرى لأن الإمام على علم بعدم وجود من يمثله مباشرةً لذا هّيأ لهذا الدور الكبير أُناس يقودون المجتمع بعد الغيبة الكبرى التي سوف تقع في علمه.

وفي الغيبة الكبرى نرى عدم إمكانية الناس عامة والموالين خاصة من رؤية الإمام رغم وجوده بين الناس وممارسة مهام الإمام المكلف بها لأنه يمثل الخلافة الإلهية في الأرض وهذا يدل على قوة علمية الإمام التي تمنع الناس من مشاهدته وليس كما يتصوره البعض فالإمام ليس بهواء أو ظل بل بشر كباقي الناس ولكن يتمتع بعلمية كبيرة تجعله يؤدي مهامه دون أن يتمكن منه أحد فنرى بعض الناس والقلة التي قضى لها بعض الحوائج ومن ثم توارى عن اعينهم وهذا التواري هو علمه الذي لديه وبالتالي يمنعهم من رؤيته مرة أخرى.

الكلمات المفتاحية:(الغيبة الثانية، الإمام الثاني عشر).

The Second Occultation of the Twelfth Imam

Abbas Jasib Rishk

College of Law / University of Maysan

Apass935@gmail.com

Abstract:

Imam (Muhammad bin Al-Hassan Al-Askari) is the twelfth Imam according to the Shiite sect. He took over the reins of the Imamate after his father, Imam Al-Askari. His birth was hidden except for those close to him, and his Imamate was proven at that time.

The twelfth Imam had two occultations. The first was called the minor occultation because of its short period. This occultation began after his prayers for his father and ended with the fourth ambassador (Ali bin Muhammad Al-Samarri) informing him of the beginning of the second complete occultation, which is called the major occultation. It began with the death of the fourth ambassador. During this occultation, there was no one representing the twelfth Imam and he did not have a special embassy. The embassy means someone who represents him in fulfilling people's needs and conveying rulings and all necessary matters. During this occultation, the general representation and what we call the reference also began. It is the result and fruits of the minor occultation because the Imam was aware of the absence of anyone representing him directly. Therefore, he prepared for this great role people who would lead society after the major occultation that would occur in his knowledge.

In the major occultation, we see that people in general and loyalists in particular are unable to see the Imam despite his presence among the people and his performance

of the duties of the Imam with which he was charged, because he represents the divine caliphate on earth. This indicates the Imam's strong knowledge that prevents people from seeing him, and not as some imagine. The Imam is not air or shadow, but a human being like the rest of the people, but he enjoys great knowledge that enables him to perform his duties without anyone being able to see him. We see some people and the few for whom he has fulfilled some needs, and then he disappears from their eyes, and this disappearance is the knowledge that he has, and thus he prevents them from seeing him again.

Keywords: (The Second Occultation, The Twelfth Imam).

المقدمة:

إنَّ فكرة المصلح والمخلص هي من الاعتقادات السائدة والموجودة عند أغلب الديانات وثابتة في اعتقاد الكثير من الناس المشوقين للعدل والعدالة منذ فترات زمنية مختلفة فالمسميات تختلف من طائفة إلى أخرى ومن دين إلى آخر ولكن المفهوم هو واحد .

أما الخط الشيعي ففكرة المخلّص أو المنقذ هي من أصل الاعتقادات التي بني عليها هذا المذهب حيث يعود نسب هذا القائد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو أحد الأئمة الاثني عشر وخاتم الأئمة الذين أشار اليهم الرسول في عدة مواقف والكثير من الروايات التي جاءت بحقهم .

فالكثير من الروايات ذكرت هذا المصلح وأسمه محمد بن الحسن المهدي عجل الله فرجه الشريف وأنه من ولد فاطمة عليها السلام وأن له غيبتان أحدهما أطول من الأخرى وأنه مدّخر لإقامة دولة العدل الالهي والقضاء على الجور والظلم الذي عاث فسادا في الارض فعندما يحكم الإمام سيملأ الارض قسطاً وعدلا ويعود بالبشرية الى الطريق الذي أراده الله لها وتسود العدالة في كل أرجاء المعمورة بحيث لا يبقى مكان في البر إلا امتدت سلطته وعدالته عليه وهذه السلطة هي الخلافة التي أرادها

أن تكون على هذه الارض وهي تختلف عن كل الخلافات التي حكمت وكانت لما تتسم به من عدالة وانصاف وحكمه وحنكه وتدبير وغيرها.

الغَيبَة لغةً :

(الغَيْبُ) ما غاب عنك، تقول: (غَابَ) عنه من باب باع و(غَيْبةً) أيضا و(غَيْبُوبة) و(غُيُوبا) و(غَيَابا) بالفتح و(مَغِيبًا). وجمع الغائب (غُيَّبٌ) و(غُيَّابٌ) بتشديد الياء فيهما و(غَيَبٌ) بفتحتين مخففا. و(غيابة) الجب قعره. و(غابت) الشمس (غِيابةً) هبطت. و(المُغَايَبة) خلاف المخاطبة. و(اغْتَابَه اغْتِيابا) وقع فيه والاسم (الغِيبة) بالكسر وهي أن يتكلم خلف إنسان مستور بما يغمه لو سمعه. فإن كان صدقا سمي غِيبة وإن كان كذبا سمي بهتانا. و(الغَابَةُ) الأجمة بفتح الهمزة والجيم وجمعها (غَابٌ). و(تَغَيَّب) عني فلان. وجاء في الشعر تَغَيَّبَنِي.

(١).

الغيبة لغةً:

من الفعل غابَ غيباً وغيبةً وغيبوبةً وغياباً خلاف شهدَ وحضرَ، يقال: غابَ فلان: بَعُدَ، وغاب فلان عن بلاده: سافر، وغابت الشمس وغيرها: غربت واستترت عن العين، والشيء في الشيء: توارى فيه، ويقال: غاب عنه الأمر: خفي (٢) .

الغيبة اصطلاحاً:

هي الزمان الذي يبدأ بانتهاء الغيبة الصغرى ، بالإعلان الذي أعلنه الإمام المهدي عليه السلام ، عام ٣٢٩ للهجرة ، بانتهاء السفارة وبدء الغيبة التامة وأنه لا ظهور إلا بإذن الله عز وجل .

وهو الذي ينتهي بيوم الظهور الموعود الذي يبزغ فيه نور الإمام المهدي عليه السلام ، وتسعد البشرية بلقائه ليخرجها من الظلمات إلى النور ، ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً .

ومعه نكون الآن معاصرين لهذه الفترة التي نؤرخها ،وسيبقى الناس معاصرين لها ، حتى يأذن الله تعالى بالفرج.

والإسلام والمسلمين يمرون في هذه الفترة بأصعب الظروف التي عاشوها ، بل التي عاشها أهل سائر الأديان السماوية ، بشكل عام . باعتبار ما تتصف به من خصائص ومميزات يجعلها من أحرج الأحوال في منطق الإسلام بالنسبة إلى ما سبقها وما يلحقها من الدهور (٣) .

أقسام الغيبة :

الأوّل: الغيبة الصغرى، وكانت مدَّة هذه الغيبة (٧٤) سنة أو (٦٩) سنة .

الثاني: الغيبة الكبرى التي بدأت بانتهاء الغيبة الصغرى عام (٣٢٩) للهجرة، بانتهاء السفارة وبدء الغيبة التامَّة .

بداية الغيبة الكبرى :

إن بداية الغيبة الكبرى كانت مع نهاية الغيبة الصغرى أي بعد وفاة السفير الرابع علي بن محمد السمري رحمه الله وهذا هو المتعارف ما بين الاوساط الشيعية وغيرها إلا إن بدايتها كانت قبل وفاة السفير الرابع بستة أيام عندما خرج التوقيع المبارك من الناحية المقدسة وهو ما أشار فيه الى بدايتها وأكد فيها على نهاية النيابة الخاصة .

فق ورد في رواية الشيخ الطوسي بسنده عن جماعة من اهل قم منهم عمران الصفار، وقريبه علوية الصفار والحسين بن احمد بن علي بن احمد بن ادريس رحمهم الله قالوا:« حضرنا بغداد في السنة التي توفي فيها علي بن الحسين بن موسى بن بابويه وكان ابو الحسن علي بن محمد السمري قدس سره يسالنا كل قريب عن خبر علي بن الحسين رحمه الله فنقول قد ورد الكتاب باستقلاله. حتى كان اليوم الذي قبض فيه فسالنا عنه فذكرنا له مثل ذلك.. فقال: آجركم الله في علي بن الحسين فقد قبض في هذه الساعة. قالوا: فاثبتنا تاريخ الساعة، واليوم والشهر، فلما كان بعد سبع عشر يوما او ثمانية عشر يوما ورد الخبر انه قبض في تلك الساعة التي ذكرها الشيخ ابو الحسن قدس سره »

الامام المهدي (ع) يخبر نائبه السمري بوفاته ويأمره بعدم الوصية لاحد روى الشيخ الصدوق رحمه الله قال: حدثنا ابو محمد احمد بن الحسن المكتب قال: «كنت بمدينة السلام في السنة التي توفي فيها الشيخ ابو الحسن علي بن محمد السمري قدس سره، فحضرته قبل وفاته بأيام فاخرج توقيعاً نسخته: بسم الله الرحمن الرحيم يا علي بن محمد السمري، عظم الله اجر اخوانك فيك فإنك ميت ما بينك وبين ستة ايام فاجمع امرك، ولا توصِ الى احد يقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة الثانية (وفي رواية الطوسي: التامة) فلا ظهور الا بعد اذن الله، تعالى ذكره، وذلك بعد طول الامد. وقسوة القلوب وامتلاء الارض جوراً، وسياتي شيعتي من يدعي المشاهدة، الا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كاذب مفتر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ». قال: فنسخنا هذا التوقيع وخرجنا من عنده، فلما كان اليوم السادس عدنا اليه وهو يجود بنفسه فقيل له: من وصيك من بعدك؟ فقال رحمه الله: لله امر هو بالغه. [٤] .

تدرج دور الغيبة الكبرى :

هناك الكثير من الآراء حول الغيبة الكبرى وما هي أبرز الاعمال والمهام التي يقوم بها الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف وايضا أشار الكثير من الكتّاب والباحثين والعلماء إلى الغيبة الكبرى وثمارها .

فما عاشه المجتمع في زمن الغيبة الصغرى هو مرتبط بزمن الغيبة الكبرى مهما اختلفت المسميات فهناك الكثير من الناس من عاش جزءاً من حياته في زمن الغيبة الصغرى والجزء الآخر في زمن الغيبة الكبرى التي لا يوجد فيها أشخاص معينون بالذات للوساطة بين الإمام القائد والشيعة، وقد عبّر التحول من الغيبة الصغرى إلى الغيبة الكبرى عن تحقيق الغيبة الصغرى لأهدافها وانتهاء مهمتها؛ لأنها حصّنت الشيعة بهذه العملية التدريجية عن الصدمة والشعور بالفراغ الهائل بسبب غيبة الإمام، واستطاعت أن تكيّف وضع الشيعة على أساس الغيبة، وتعدّهم بالتدريج لتقبل فكرة النيابة العامة عن الإمام، وبهذا تحولت النيابة من أفراد منصوصين إلى خط عام خط النيابة العامة

للفقهاء في فترة الغيبة الكبرى كقيادة سياسية شرعية للمجتمع الإسلامي بما يحفظ للإمامة موقعها السامي كمشرف يراقب التجربة السياسية والاجتماعية وينصرها، وكمنبع يمدها بالشرعية حينما يجدها متطابقة مع الإسلام [٥] .

ولعل حكمة ذلك كانت تدرج الصلة الإلهية من الوحي إلى الوصاية والنيابة الخاصة ثم النيابة العامة ، فلقد كان عصر النبي الأعظم (ص) عصر الوحي الذي كان شاهداً في كل قضية ، وبعد ان اكمل تبليغ الرسالة عهد إلى الأئمة الهدة امر تفسير المتشابه من آيات القرآن ، اما المحكم فكان على الناس أنفسهم الرجوع إليه مباشرة ، وهذه خطوة متقدمة في مسيرة التعامل مع الوحي .

وفي عصر الوصاية تفقه الكثير من المسلمين العلماء حتى أرجع الأئمة إلى بعضهم أمر الفتيا ، وبعد ذلك جاء عصر النيابة الخاصة حيث كان على المسلمين مراجعة الإمام الحجة من خلال نوابه وليس بصورة مباشرة كما كان في عصر الوصاية .

اما الآن وفي عصر النيابة العامة فان على المسلمين ان يراجعوا الفقهاء العدول الذين يتعرفون على صلاحيتهم وفق المقاييس العامة التي بيّنها لهم الأئمة .

وبالرغم من ان صلة حجة الله بأولياء الله مستمرة بصورة أو بأخرى الا ان ذلك لا يدخل ضمن اطار الأحكام الظاهرية حيث لا يمكن لأحد ان يدعي انه النائب الخاص للإمام ، بل لا يمكنه ان يدعي ارتباطه المباشر بالإمام ، فإذا فعل ذلك فان على المسلمين ان يكذبوه رأساً . ولولا هذا التدرج لكانت الأمة تُصاب بكارثة حقيقية [٦] .

أسباب الغيبة :

من المعروف لدى المعتقدين بإمامة الثاني عشر وغيبتيه أن هناك عدة أسباب أو علل لغيبة الإمام محمد بن الحسن المهدي عجل الله فرجه الشريف ومن هذه العلل هو ما جاء في رواية محمد بن إبراهيم بن إسحاق رضي الله عنه قال: حدثنا أحمد بن محمد الهمداني قال: حدثنا على بن الحسن بن علي بن فضال، عن أبيه، عن أبى الحسن علي بن موسى الرضا عليهما السلام أنه قال: كأني بالشيعة

عند فقدهم الثالث من ولدي كالنعم يطلبون المرعى فلا يجدونه، قلت له: ولم ذاك يا بن رسول الله؟ قال: لان إمامهم يغيب عنهم، فقلت: ولم؟ قال: لئلا يكون لاحد في عنقه بيعة إذا قام بالسيف [٧] .

وأعلن الإمام المهدي (عليه السلام) ذلك بقوله : ((إنّه لم يكن لأحد من آبائي (عليهم السلام) إلاّ وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه ، وإنّي أخرج حين أخرج ، ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي)) [٨] .

أما العلة الأخرى أو السبب الآخر هو إخافة الظالمين له عليه السلام، وقبضهم يده عن التصرّف فيما جُعل إليه التصرّف والتدبير له؛ لأنّ الإمام إنّما ينتفع به إذا كان مُمَكَّناً، مطاعاً، مُخلّىً بينه وبين أغراضه، ليقوِّم الجناة، ويحارب البغاة، ويقيم الحدود، ويسدّ الثغور، وينصف المظلوم من الظالم، وكلّ هذا لا يتمّ إلاّ مع التمكين، فإذا حيل بينه وبين مراده سقط عنه فرض القيام بالإمامة، فإذا خاف على نفسه وجبت غَيْبته ولزم استتاره.

ومَنْ هذا الذي يُلْزِمُ خائفاً – أعداؤه عليه، وهم حنقون – أن يظهر لهم وأن يبرز بينهم؟!

والتحرّز من المضارّ واجبٌ عقلاً وسمعاً.

وقد استتر النبيّ صلىّ الله عليه وآله في الشعب مرّة، وأُخرى في الغار، ولا وجه لذلك إلاّ الخوف من المضارّ الواصلة إليه [٩] .

ففي رواية المظفر بن جعفر بن المظفر العلوي السمرقندي رضي الله عنه قال: حدثنا جعفر بن محمد بن مسعود، وحيدر بن محمد السمرقندي جميعا قالا: حدثنا محمد بن مسعود قال: حدثنا جبرئيل بن أحمد، عن موسى بن جعفر البغدادي قال: حدثني الحسن بن محمد الصيرفي، عن حنان بن سدير، عن أبيه، عن أبى عبدالله عليه السلام قال: إن للقائم منا غيبة يطول أمدها، فقلت له، يا بن رسول الله ولم ذلك؟ قال: لان الله عز وجل أبى إلا أن تجري فيه سنن الانبياء عليهم السلام في غيباتهم، وإنه لابد له يا سدير من استيفاء مدد غيباتهم ، قال الله تعالى: " لتركبن طبقا عن طبق "وبهذا الاسناد، عن محمد بن مسعود قال: حدثني عبدالله بن محمد بن خالد قال: حدثني أحمد بن هلال، عن

عثمان بن عيسى الرواسي، عن خالد بن نجيح الجواز ، عن زرارة قال: أبوعبدالله عليه السلام، يا زرارة لابد للقائم من غيبة؟ قلت: ولم، قال: يخاف على نفسه – وأومأ بيده إلى بطنه – (١٠) .

وهناك أيضاً سبب آخر أو علة للغيبة هو امتحان العباد واختبارهم ، وتمحيصهم فعن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن أبي نجران، عن محمد بن المساور عن المفضل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إياكم والتنويه أما والله ليغيبن إمامكم سنينا من دهركم ولتمحصن حتى يقال :مات قتل، هلك، بأي واد سلك؟ ولتدمعن عليه عيون المؤمنين، ولتكفأن كما تكفأ السفن في أمواج البحر فلا ينجو إلا من أخذ الله ميثاقه، وكتب في قلبه الايمان، وأيده بروح منه، ولترفعن اثنتا عشرة راية مشتبهة، لا يدرى أي من أي، قال: فبكيت ثم قلت: فكيف نصنع؟ قال: فنظر إلى شمس داخلة في الصفة فقال: يا أبا عبد الله ترى هذه الشمس قلت نعم، فقال: والله لأمرنا أبين من هذه الشمس (١١) .

ماهية الغَيبة الكبرى :

لعل الكثير من الناس سواء من العامة أو من الخاصة الذين يعتقدون بالإمام الثاني عشر وغيبته يتساءلون ويسألون في ماهية الغيبة وهل وكيف تكون لا سيما عجزهم وعجز جميع العلوم من معرفة ماهية الغيبة وكيف لا يمكن الالتقاء أو رؤية صاحب الامر وهل هناك مكان محدد له أو كيف يعيش وكيف يعمل ولماذا والكثير من التساؤلات التي حيرت الماضين ولا زالت تحير العالم أجمع فبين عدو يتربص لينال من الإمامة والقائد الذي أرعب الدول وأسقطها وبين محب وموالي يحاول أن يغذي نفسه ويلهمها ويصل من خلال القائد إلى زهو النفس وكمالاتها على مختلف الاصعدة .

فرغم ما أشارت أليه الروايات والاحاديث وما نصت عليه الآثار عن ماهية الغيبة وكيف يدير القائد الغائب الحاضر أمور المسلمين خصوصاً والعالم عموماً لأن الإمامة ليست

مختصة بالشيعة فقط وإنما الولاية التكوينية للإمام ممتدة على جميع الموجودات في هذا الوجود وذلك من أجل الوصول إلى دولة العدل الالهي التي ستتحقق مهما أمتد الزمن وطالت الغيبة فلابد من نهاية ومن الجدير بالذكر لابد من الاشارة الى شيء قد يكون غير معروف عند الجميع هل إن دولة العدل تتحقق فقط بالإمام الثاني عشر وهو الوحيد الذي يمتلك المؤهلات والكمالات التي تقيم هذه الدولة وماذا عن الرسول وبقية المعصومين ؟؟

بداية إن المعصومين من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والائمة عليهم السلام لديهم العلم المطلق والولاية التكوينية والكمالات التي ارادها الله في خلفائه فالأئمة جميعهم متساوون في العلم والمعرفة والكمال والعصمة التكوينية إلا إن الدور هنا يختلف من إمام إلى آخر ومن زمن الى زمن .

أما إقامة دولة العدل الالهي فباستطاعة أي منهم سواء الرسول أو أحد الائمة إقامتها ولكن كانوا يواجهون مشكلة كبيرة وهي جهل المجتمع الذي يعيشون فيه فقد كان هذا المجتمع جاهل بمكانة المعصوم والعصمة وبدوره وتكليفه وارتباطه وبالتبليغات الصادرة عنه وبالتالي عن رسول الله وعن الله .

فكان الناس يعترضون على أدارة المعصوم وعلى الاعمال التي يقوم بها وما يؤديه وغيرها وكانت هذه الاعتراضات اما ناتجة عن دوافع سياسية أو دينية أو حسد أو طمع فكان الكثير من الناس يظنون أن الامامة ما هي إلا ملك يورث من شخص لآخر غير مبالين بما أوصى به الرسول وانه من الله بالنص وليس شورى أو وراثة وبالتالي جميع المعصومين لديهم إمكانية إقامة دول العدل ولكن المجتمع لم يكن يتحمل هذه الدولة فبقيت وحتى الإمام الثاني عشر الذي ذكرت الكثير من الروايات أنه لو بقي يوم واحد لأخرج الله فيه ذخره وذخيرته الحجة بن الحسن عج الله فرجه الشريف ليقيم هذه الدولة

وهناك عدة روايات نصت على ذلك عن حذيفة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلّم فذكّرنا رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلّم بما هو كائن، ثم قال: " لو لم يبق من الدنيا الّا يوم واحد لطوّل الله عزّ وجل ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلا من ولدي اسمه اسمي.

فقام سلمان الفارسي رضي الله عنه، فقال: يا رسول الله! من أي ولدك؟

قال: هو من ولدي هذا ؛ وضرب بيده على الحسين عليه السلام " [١٢] .

وفي تفسير مجمع البيان: "... ويدلُّ على ذلك ما رواه الخاصّ والعامّ عن النبي (صلّى الله عليه وآله) أنّه قال: لو لم يبقَ من الدنيا إلا يوم واحد، لطوَّل الله ذلك اليوم حتَّى يبعث رجلاً صالحاً من أهل بيتي، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً، كما قد مُلئت ظلماً وجوراً" [١٣] .

وغيرها الكثير من الروايات أما في ماهية الغيبة وهل الإمام مختفي او في مكان ما أو في جزيرة نائية حتى لا يراه احد فهذا غير وارد رغم ما دلت عليه الكثير من الروايات حول هذه الموضوع الذي لا زال مبهماً .

روى النعماني بسنده عن اسحاق بن عمار قال: قال ابو عبدالله (الصادق) (ع): للقائم غيبتان احداهما قصيرة والاخرى طويلة ، الاولى لا يعلم بمكانه الا خاصة شيعته والاخرى لا يعلم بمكانه الا خاصة مواليه في دينه .

وبسنده عن المفضل بن عمر قال: سمعت ابا عبدالله (الصادق) (ع) يقول: ان لصاحب هذا الامر غيبتين في احداهما يرجع الى اهله والاخرى يقال: هلك في اي واد سلك قلت: فكيف نصنع اذا كان ذلك؟ قال: ان ادعى مدع فاسألوه عن تلك العظائم التي يجيب فيها مثله .

وبسنده عن المفضل بن عمر الجعفي عن ابي عبدالله (الصادق) (ع) قال: «ان لصاحب هذا الامر غيبتين احداهما تطول حتى يقول بعضهم: مات، وبعضهم يقول: قتل ،

وبعضهم يقول: ذهب، فلا يبقى على امره الا نفر يسير، ولا يطلع على موضعه احد من ولي ولا غيره الا المولى الذي يلي امره » .

وروى بسنده عن عبيد بن زرارة قال (ع): «يفتقد الناس إماماً يشهد المواسم يراهم ولا يرونه » وبسنده عن زرارة قال: سمعت ابا عبدالله (الصادق) (ع) يقول: ان للقائم غيبتين يرجع في احداهما والاخرى لا يدري اين هو يشهد المواسم يرى الناس ولا يرونه » [١٤] .

وفي هذا الموضوع لابد من الاشارة أن الإمامة هي منصب الهي لقيادة البشرية جمعاء وإخراجها من الظلمات الى النور ويرشدهم الى طريق الهداية والصلاح ويصل بهم الى الكمال الروحي والجسماني وبالنهاية الى ما أراده الله وهي العبادة الخالصة وبهذا يكون ارتباط الإمام بالمجتمع ودوره واضح فقد وضع في بداية الغيبة الكبرى خط النيابة العامة الذي لا يزال مستمراً حتى يومنا هذا ، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على وجود الإمام بخط موازٍ لخط الفقهاء فهو أعطاه الشرعية وجعل الناس ترتبط به ولا يعني ترك الإمام الناس وانعزاله عنهم بل يدل على أنه عليه السلام لديه أعمال كبرى وكثيرة فما أخرجه من تواقيع لعدد من العلماء وخصوصاً توقيعه للشيخ المفيد يؤكد على وجوده عليه السلام وسط المجتمع ويمارس حياته ويؤدي أعماله المتعلقة بالإمامة وتكاليفها ولولا وجوده لكانت حدثت مشاكل كبيرة وكثيرة ولكن رعايته وأشرافه المباشر جعل المجتمع سائر بالاتجاه الصحيح رغم وجود بعض السلبيات التي لا تؤثر لا من هنا ولا من هناك وقد دلت الكثير من الروايات على وجوده بين الناس وكذلك ذكر الله تعالى في محكم كتابه الكريم (﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾) [١٥] ففي هذه الآية الكريمة أخبر الله عز وجل الملائكة بأنه جل وعلا جاعل في الأرض خليفة وهذا يدل على أن الخليفة في الارض لا كما يظن البعض بالإمام الثاني عشر وبأنه رفع الى السماء أو يختفي فهو

بشر كبقية البشر وله كيانه وحياته فلابد من تواجده بين الناس ووسط المجتمع الذي مُنِح الولاية التكوينية عليه ليدبر أمورهم ويوجههم ويرشدهم بطرقه الخاصة فتارةً بصورة مباشرة وتارةً أخرى بصورة غير مباشره .

أما ما يحجب الناس ويمنعهم من رؤيته وعدم اللقاء به عليه السلام أو عدم القدرة على معرفته فهي أما امور خاصة بالناس أنفسهم أو علل خاص بأعمال الإمامة ودورها من تأهيل وتمحيص واختباراً للقائه عليه السلام والتعرف عليه فربما لا يستطيع الكثير من الناس ومن ضمنهم العلماء تحمل التكليف الذي يقع عليهم في حال لقائه أو عدم الكمال الروحي لدى البعض الآخر ومن لطفه عليه السلام لا يريد تكليف البعض ما لا يتحملون .

والمورد الاخر أن اللقاء والمعرفة والمشاهدة والتي سنتطرق لها في الموضوع اللاحق إن شاء الله هذه كلها من مختصات الإمام وليس لأحد أن يفرض ما يريد فهو عليه السلام إذا أراد لشخص رؤيته رآه والتقى به لأنه هو صاحب الغَيبة ويعلم ما الذي يفعله .

وبهذا وبما تقدم من الروايات والاحاديث وما أشار أليه الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام في الكثير من الموارد عن الغيبة وعملها ودورها وبداياتها ونهاياتها وحرصاً منهم على البشرية وعلى القائد المُمكّن وضحوا بعض المعاني والدلالات ونستفيد منها أن الغيبة ما هي إلا علم المعصوم عليه السلام والذي من خلاله تُحجب الناس من رؤيته وعدم معرفته ولقائه رغم وجوده وسط المجتمع هذا العلم الذي يدير من خلاله الغيبة ويدبر به أمور المجتمع ويعترض المشاكل الكبيرة التي من شأنها قد تهلك البشرية ويضع بعض الحروب فله السلطة الكاملة على جميع من في الأرض ولولا رعايته ولطفه لجرت الكثير من الأمور الخافية على الناس لا سيما في هذا العصر عصر التطور التكنولوجي والاسلحة البيولوجية والنووية .

الغيبة الكبرى والمشاهدة :

في الشأن هناك الكثير من القصص التي وردت في رؤية الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف ، ففي الغيبة الصغرى لم تكن رؤيته عليه السلام محصورةً بالسفراء الاربعة فقد كان يقضي الكثير من الحاجات للناس من دون أن يعرّف عن نفسه .

أما في الغيبة الكبرى فقد نص توقيعه الشريف على وقوع الغيبة التامة التي أنهت كافة الارتباطات الظاهرية والخاصة للإمام عليه السلام حيث جاء في نص التوقيع للسفير الرابع من الإمام المهدي (ع) يخبر الناس بانتهاء الغيبة الصغرى وبدء الغيبة الكبرى.

حيث كتب عليه السلام: (بسم الله الرحمن الرحيم: يا علي بن محمد ألسمري: أعظم الله أجر إخوانك فيك، فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام، فاجمع أمرك ولا توص إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامة، فلا ظهور إلا بإذن الله تعالى ذكره، وذلك بعد طول الأمد، وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً، وسيأتي لشيعتي من يدعي المشاهدة، ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذاب مفتر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) .

وفي اليوم السادس مرض السمري رضوان الله تعالى عليه وانتقل إلى رحمة الله تعالى وكان آخر ما تكلم به بعد أن سألوه إلى من يوصي فقال: لله أمر هو بالغه [١٦] .

وبذلك يكون التدبير الكامل والتخطيط الأمثل له عليه السلام في قطع الطريق أمام كل من يدعي ارتباطه أو يدعي بالنيابة الخاصة عنه عليه السلام فيكون قد حافظ على ثمار عمل الغيبة الصغرى وأعطى التحصين الكامل للخط الاثني عشري (الشيعي) من مدعي الزور أو من ينتحلون أحد المناصب المختصة بالإمام مستغلين الغيبة الكبر وجهل الكثير من الناس محققين أطماعهم الدنيوية بذلك .

وفي نفس الوقت فالإمام يدير أموره بكل سهولة وتدبير وما جاء في نص توقيعه الشريف من وقوع الغيبة التامة لا يعني انقطاعه عن الناس فهناك الكثير من القصص التي رويت عن أناس قد

تشرفوا برؤيته ولقائه وقد قضى لهم حوائجهم وإن كان بصورة مباشرة من قبله أو غير مباشرة عن طريق أشخاص فهو العالم بتدبير الامور التي لا تمنع من أن يتخذ اصحاباً وليس نواباً خاصين به أثناء فترة الغيبة بما لا يخل بمعنى الغيبة وتكليفها .

وقد يتساءل الكثير عن معنى التامة فهو العالم ببدايتها وأيضاً العالم بنهايتها وبأنها تامة من جميع الاوجه لأنها من مختصاته دون غيره وإن لم يكن له علم بتمامها وبدايتها ومتى ستنتهي فإنه يستلزم عدم العلم وبهذا يكون محتاج فيكون بذلك غير مدرك لما ستؤول اليه الامور وحاشا المعصوم من ذلك بل هو صاحب علوم الاولين والاخرين والذخيرة من آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين وصاحب الولاية التكوينية ، فعندما وصف عليه السلام الغيبة بالتامة قطع الطريق على المدعين للمهدوية والكاذبين والمنتحلين لشخصيات لها ارتباط به فهو العالم بما سيكون مستقبلاً ولعل أدل دليل على ذلك ما ذكره في توقيعه المبارك التوقيع إلى أبي الحسن السمري: يا علي بن محمد السمري اسمع ! أعظم الله أجر إخوانك فيك، فانك ميت ما بينك وبين ستة أيام فاجمع أمرك ولا توص إلى أحد يقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامة، فلا ظهور إلا بعد إذن الله تعالى ذكره، وذلك بعد طول الامد، وقسوة القلوب، وامتلاء الارض جورا، وسيأتي من شيعتي من يدعي المشاهدة، ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذاب مفتر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم [١٧] .

التوقيع الصادر منه عليه السلام إلى سفيره علي بن محمد السمري رضوان الله عليه قال: (وسيأتي شيعتي من يدعي المشاهدة ، ألا ومن ادعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذاب مفتر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) والمقصود بمن يدعي المشاهدة قبل هذين الحدثين من يدعي السفارة لصاحب الأمر عليه السلام ، وليس مجرد التشرف برؤيته دون ادعاء النيابة أو دون التحدث بذلك ، فقد استفاضت الروايات برؤيته عليه السلام من قبل العديدين من العلماء والأولياء الثقاة الأصحاء ، ولعل هذا سبب التعبير بنفي المشاهدة لا الرؤية [١٨] .

وهذا التوقيع يظهر معرفة وعلم الإمام بما سيكون في المستقبل فهو يشير إلى من سيدعي النيابة أو له اتباط بالإمام ويحذرهم منهم وانهم كذابون ومفترون وليس لهم مصداقية في شي وهذا ما نراه ونلتمسه في الأيام التي مضت وما زالت حيث أدعى الكثير من الكذّابين والمحتالين بأنهم شخص الإمام أو لهم أرتباط ويتحدثون بلسانه أو من يدعي أنه نائب عن الإمام وكل هذه الأكاذيب والادعاءات لا تؤثر على مسار الغيبة التامة ولا على خط النيابة العامة الذي جعله الإمام كالسد في وجه هؤلاء المفترين وهو راعي لهذه الأمة وناضر بعين اللطف والحنكة والتدبير الخاتمة:

١. الغيبة من مختصات الإمام الثاني عشر وهي تختلف عن من سبقتها من الغيبات سواء عند الأئمة أو الانبياء من حيث الفترة الزمنية ومن حيث ماهيتها ومفهومها .
٢. بداية الغيبة الكبرى بدأت قبل ستة أيام من وفاة السفير الرابع أي أن السفير الرابع علي بن محمد السمري رحمه الله عاش ستة أيام في الغيبة الكبرى .
٣. تدرج هذا الدور أي الغيبة تدريجياً ليكون المجتمع أكثر وعياً وتقبلاً لفقدان المعصوم بالظاهر المجتمع الذي تعود أن يعيش المعصوم ظاهراً فيه .
٤. من أسباب هذه الغيبة هو لأداء الدور الكبير والتكليف الرباني في أدارة أمور العباد حتى لا يكون هناك صد واعتراض وعرقلة وقتل كما حصل مع الأئمة السابقين .
٥. الغيبة هنا ليست أستتاراً أو اختفاء أو اعتزال المجتمع بل هي ما تمتع به المعصوم الثاني عشر من العلوم أي هي العلم الذي حجب الناس عن رؤيته رغم وجوده بينهم .
٦. الغيبة الكبرى تختلف عن الصغر حيث كانت ولا زالت تامة ولا وجود لارتباط أي شخص بالإمام أي لا يوجد نائب خاص أو وكيل عن الامام فقد انقطعت الممثلية عنه عليه السلام .
٧. وجود خط عام يتصدى للمدعين والكذّابين ومن يدعي أي عنوان آخر للإمام وهذا الخط هو خط النيابة العامة والذي ينوب عن الإمام في قيادة وتدبير أمور الناس بالظاهر .

الهوامش:

١ مختار الصحاح ، زين الدين أبو عبد الله ، الرازي ، المكتبة العصرية ـ الدار النموذجية، بيروت – صيدا ، الخامسة ، 1999م ، ص ٢٣١ .

٢ المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار ، ج٢، ص ٢٤٦

٣ كتاب الغيبة الكبرى ، محمد صادق الصدر ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٢ ، ج ٢ ، ص ١٩ .

٤ الامام المهدي المنتظر ، المكتبة الشاملة ، ج١ ، ص ١٣٢ .

٥ المهدويّة عند أهل البيت (ع) ، المكتبة الشاملة ، مؤسسة البلاغ المبين ، ج١ ، ص ٥٩ ، ٧٤ .

٦ الامام المهدي ، المكتبة الشاملة ، ج١ ، ص ٨ .

٧ كمال الدين وتمام النعمة ، محمد بن بابويه القمي ، ص ٨٤٠ .

٨ ينابيع المودة ، ج٣ ، ص ٣٣٠ .

٩ المقنع في الغيبة ، للسيد الشريف المرتضى ، السيد محمد علي الحكيم ، ستارة ـ قم ، ج ١ ، ص ٥٢ .

١٠ كمال الدين وتمام النعمة ، محمد بن بابويه القمي ، ص ٨٤١ .

١١ الكافي ، للشيخ الكليني ، ج ١ ، ص ٣٣٦ .

١٢ النجم الثاقب ، للشيخ الطبرسي ، ج ١ ص ٣٦١.

١٣ أسئلة وحوارات حول المهدي المنتظر ، للسيد يحيى ، المكتبة الشاملة ، ص ٥٩ .

١٤ الامام المهدي المنتظر ، عدنان علي البكاء الموسوي ، مركز الغدير للدراسات الاسلامية ، ١٩٩٧، ص ٩٤ .

١٥ القرآن الكريم ، سورة البقرة ، آية ٣٠ .

١٦ شمس خلف السحاب ، ماهر آل شبر ، الطبعة الاولى ، ٢٠٠٤ م ، ص ٣٦ .

١٧ بحار الأنوار ، العلامة محمد باقر المجلسي ، مؤسسة الوفاء ـ بيروت – لبنان ، ج ٥٢ ، ص ١٥١ .

١٨ عصر الظهور ، الشيخ علي الكوراني العاملي ، الطبعة السابعة عشر ، ١٤٢٧ ص ١٩٦ .

المصادر :

١. مختار الصحاح ، زين الدين أبو عبد الله ، الرازي ، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا ، الخامسة ، 1999م .

٢. المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار .

٣. كتاب الغيبة الكبرى ، محمد صادق الصدر ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٢ .

٤. الامام المهدي المنتظر ، المكتبة الشاملة .

٥. المهدويّة عند أهل البيت (ع) ، المكتبة الشاملة ، مؤسسة البلاغ المبين .

٦. الامام المهدي ، المكتبة الشاملة .

٧. كمال الدين وتمام النعمة ، محمد بن بابويه القمي .

٨. ينابيع المودة ، ج٣ ، ص ٣٣٠ .

٩. المقنع في الغيبة ، للسيد الشريف المرتضى ، السيد محمد علي الحكيم ، ستارة – قم .

١٠. كمال الدين وتمام النعمة ، محمد بن بابويه القمي .

١١. الكافي ، للشيخ الكليني .

١٢. النجم الثاقب ، للشيخ الطبرسي .

١٣. أسئلة وحوارات حول المهدي المنتظر ، للسيد يحيى ، المكتبة الشاملة .

١٤. الامام المهدي المنتظر ، عدنان علي البكاء الموسوي ، مركز الغدير للدراسات الاسلامية ، ١٩٩٧ .

١٥. ١٨ القرآن الكريم ، سورة البقرة ، آية ٣٠ .

١٦. شمس خلف السحاب ، ماهر آل شبر ، الطبعة الاولى ، ٢٠٠٤ م .

١٧. بحار الأنوار ، العلامة محمد باقر المجلسي ، مؤسسة الوفاء – بيروت – لبنان .

١٨. عصر الظهور ، الشيخ علي الكوراني العاملي ، الطبعة السابعة عشر ، ١٤٢٧ .